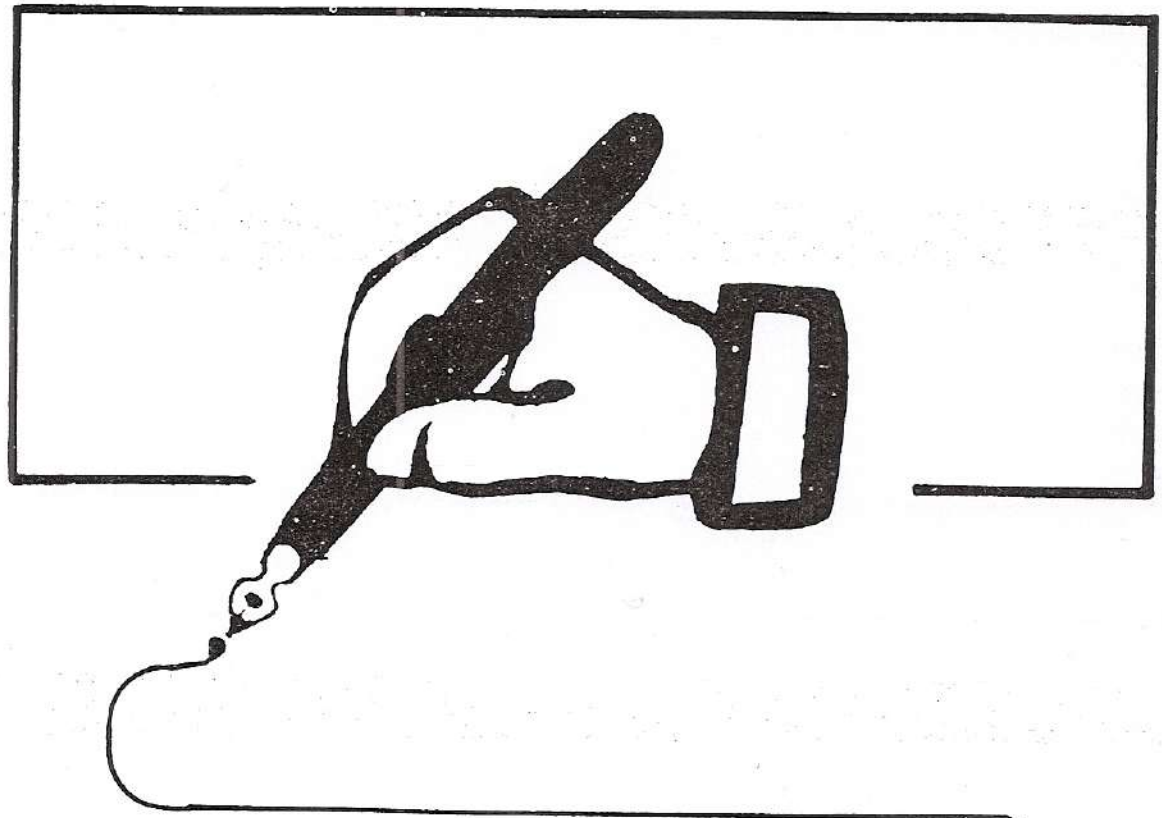

شخصيات وآراء

ظاهرة التنقل في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد

ظاهرة التنقل في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد

د. فتوح الخترش*

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ بجامعة الكويت

تمهيد :

تهتم هذه الدراسة، بتعليل ظاهرة التنقل والاغتراب في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد، وبيان الأسباب والغايات التى دفعته إلى الرحيل، وأثر ذلك في توجهاته الإصلاحية التى كانت الكويت قاعدتها الأولى لديه.

وظاهرة التنقل وارتياد الآفاق لم تكن الظاهرة الوحيدة في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد فالمعروف أن هناك ظواهر أخرى تستدعى الانتباه وتستحق الدراسة في حياته، ولا أجاوز الحقيقة إن قلت إن عبدالعزيز الرشيد نفسه يشكل في الحياة الثقافية الكويتية ظاهرة منفرده لأنه كان الوحيد من بين مثقفي الكويت الذى شارك وضرب بسهم وافر في الحركة الإصلاحية الكبرى التي عمت أرجاء الوطن العربي والشرق الإسلامي، فقد استطاع من خلال انتقاله وأسفاره أن يناضل من قواعد أخرى غير الكويت أكثر استشراقا لآفاق العمل الإصلاحي، ومن هنا كان اهتمامي بظاهرة التنقل في حياته.

ظاهرة مشتركة وأهداف مختلفة :

إذا كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد منفردا من بين أبناء وطنه في المشاركة الإصلاحية العامة، فإنه لم يكن منفردا في ظاهرة التنقل والارتحال. لقد ماثله في ذلك كثيرون من

أبناء وطنه، من قبله ومن بعده، منهم من ارتحل لطلب العلم، ومنهم من تنقل في البلاد البعيدة باحثا متطلعا إلى آفاق أكثر رحابة للعمل أو العطاء، ففكرة الارتحال والتنقل ليست من المستحدثات في الحياة الكويتية، التي قامت أصلا على التنقل والسفر بدءا من رحلات الغوص إلى السفر بأنواعه ووجهاته المختلفة.

بل أن الكويت نفسها في تأسيسها وتشكيلها كانت ثمرة قدرية من ثمرات ذلك النزوع نحو الآفاق الآمنة الكريمة، يوم ارتحلت جماعات العتوب من نجد في ذلك الارتحال الجماعي الكبير، وما تلاه بعد ذلك من انتقال العائلات والأسر النجدية تباعا إلى الكويت، ومنها أسرة الرشيد نفسه.

وتتحدث الروايات المحلية، عن رجال سبقوا الرشيد في هذا التطلع نحو الآفاق البعيدة، منهم الشيخ عيسى بن علوي الذي رحل إلى مصر وتوفي فيها سنة ١٨٦٣، وماجد بن سلطان بن فهد الذي رحل إلى مصر ثم تنقل في إمارات الخليج وتوفي في سنة ١٩١٨[١]، والشيخ أحمد بن الشيخ خالد العدساني الذي ارتحل إلى الأحساء ثم إلى بومباي ثم إلى مصر ثم إلى الهند مرة أخرى وأخيرا إلى الحجاز.[٢]

كما تتحدث الروايات المدونة عن كثير من رحلات أهل الأدب والشعر من بعد الشيخ الرشيد أو في زمانه. منهم المرحوم محمود شوقي الأيوبي الذي قضى معظم سنين حياته في الأسفار مرتحلا متنقلا ما بين العراق والشام ومصر ونجد والحجاز ثم اندونيسيا حيث أمضى عشرين سنة متنقلا بين مدنها وقراها، والتقى خلالها الشيخ عبدالعزيز الرشيد[٣]. ومنهم الشاعر خالد الفرج الذي ارتحل إلى الهند وأقام في بومباى، ثم تنقل مابين القطيف وقطر ومسقط والدمام والبحرين والكويت ودمشق وبيروت. ومنهم عبدالله الصانع الذي تنقل بين مدن الخليج وأقام في دبي ثم في عمان، ومنهم كذلك حجي بن قاسم الحجي الذي قضى شطرا من حياته في نجد والحجاز وعبداللطيف النصف الذي ارتحل إلى الأحساء عام ١٩٣٥، وداود الجراح الذي سافر إلى الهند وتنقل في إمارات الخليج، وأحمد خالد المشاري الذي سافر إلى البحرين والعراق والهند وأستقر فيها[٤].

ونزعة التنقل والارتحال هذه تكاد أن تكون عامة لدى الكويتيين، سواء أكانوا من أهل

العلم والفكر، أم من رجال الأعمال، من أمثال محمد الفرج الدوسري والد عبدالله الفرج، وآل الحمد الذين كانت لهم مكاتب تجارية في عدن والبصرة وبومباي. [٥]

هذه الظاهرة العامة في الجيل المعاصر للشيخ عبدالعزيز الرشيد ترجع إلى أسباب ودوافع مختلفة أهمها الدوافع الاقتصادية أو المعاشية أو الثقافية، وليس في ذلك الجيل من ماثل الرشيد في ارتحاله للإسهام في حركة الإصلاح أو معايشتها سوى خالد الفرج الذي اتخذ من البحرين ميدانا للعمل الإصلاحي من بعد الكويت.

وقبل أن نبدأ الخوض في رحلات وأسفار الشيخ عبدالعزيز الرشيد، نري أن نلقي ضوءا في نسبه ومولده، هو عبدالعزيز أحمد الرشيد البداح، ولد من أبوين كويتيين، من أصول نجدية. فأصله من قرية صلبوخ في نجد، وقد ولد بين ١٣٠١هـ أو ١٣٠٥هـ، فلم تتفق المصادر التي رجعت إليها على سنة ميلاده، فقد جاء أنها ١٣٠١هـ وتوافقها ١٨٨٣م، كما أنها سنة ١٣٠٥هـ وتوافقها ١٨٧٨م. وقد جاء في مذكرات رفيق دربه «يونس بحرى»، الذي شاركه في بعض أعماله وزامله في جاوه فيما بعد، وأصدر معه مجلة الكويت والعراقي تحت عنوان صفحات مطوية عن الشيخ عبدالعزيز الرشيد، أنه ولد سنة ١٨٩٧، وأنه ولد ـ أي يونس بحرى ـ في نفس العام وأنه يكبر الرشيد بستة أشهر [٦]. وأعتقد أن التاريخ حرف أثناء الكتابة على الآلة الطابعة وأنه سنة ١٨٨٧م. ولم يكن سنة ١٨٩٧م.

رحلات الشيخ عبدالعزيز الرشيد:

لكي يستطيع الباحث أن يحدد مسارات التنقل والارتحال لدى الشيخ عبدالعزيز الرشيد، عليه أن يبذل جهدا مزدوجا، فإن التحديد يقتضي تعيين الزمان والمكان، فإذا تم ذلك شرع في رسم تلك المسارات التي لم تتفق المصادر والمراجع في تحديدها كما حدثت، ولم يذكر أحد منها التوقيت الزمني لكل رحلة، ولا المكان الذي بدأت منه، ومثال ذلك أن أحدا من الذين كتبوا عن الرشيد لم يذكر من أين رحل إلى الأستانة، ومتى تم ذلك، وفي أي سنة؟ ولماذا رحل إليها، وماذا فعل هناك؟ وإذا وجدنا من ذكر شيئا عن سبب هذه الرحلة، فإنه لايزيد عن القول بأنه: رحل إلى الأستانة لطلب

العلم، أما أين هذا العلم، وعند من؟ أو في أي معهد، وبأية لغة، وماذا درس؟ فهذه أسئلة لانجد لها أجوبة شافية. كما يواجهنا التناقض في الروايات. مثال ذلك الاختلاف البين في مدة إقامته بمصر، فمن قائل أنها استغرقت أسبوعا إلى قائل بأنها امتدت إلى سنتين. وما ينطبق على أسفاره ينطبق على الكثير من مراحل حياته. والسائد في الكتابات المتوفرة عن الشيخ عبدالعزيز الرشيد الاضطراب والغموض والتعميم، ويعزى ذلك كله إلى قلة المصادر الأصلية التي يركن إليها الباحث، وأعني بذلك ندرة الكتابات التي كتبت عنه في الفترة التي تلت وفاته ١٩٣٦ إلى وقتنا الحاضر، وهي فترة مهمة بالنسبة لنا، لأنها كانت تزخر بمعارفه وأصدقائه، أما اليوم فإن أكثرهم ينعم برحمة الله تعالى.

ورغم هذه المصاعب، فقد عاينت ما توفر لي من مصادر وحاولت التوفيق بين ماورد فيها عن طريق الترتيب والمقارنة والاستقراء، لأصل إلى وضع تصور موضوعي عن رحلاته بمواقيت زمنية تتناسب مع مراحل حياته وإنجازاته والأحداث المرافقة لذلك.

فترات الاستقرار في الوطن :

تعتبر الفترات التي قضاها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في وطنه الكويت، مجالا مفيدا للتعرف على أمور كثيرة، منها الاستدلال على مواقيت الرحلات وأهدافها ودوافعها وعلى العوامل النفسية والاجتماعية التى أسهمت في تنمية رغبته في الارتحال وارتياد الآفاق، وعلى التطلعات الفكرية التى راودته أثناء ذلك كله والتي أسهمت بقسط وافر في تشكيل هذه الظاهرة في حياته.

وتنقسم مدة إقامة الرشيد في الكويت إلى ثلاث مراحل رئيسية وهي :

الطفولة، والتعلم في الكويت، وما بعد سياحته الأولى لطلب العلم والاطلاع، وسنتحدث عن هذه الفترات كلا على حده.

طفولة الشيخ عبدالعزيز الرشيد :

أمضى الشيخ عبدالعزيز الرشيد في الكويت مسقط رأسه طفولة مثمرة، إذ تربى في حجر والديه على سعه فى العيش، فقد كان والده أحمد الرشيد البداح تاجرا من تجار الكويت المعدودين[٧]، وقد أتيحت له فرص التعلم على نحو جيد كان العامل الأقوى فيها استعداده الفطري وذكاؤه المتوقد ورغبته القوية ، ويروى يونس بحري نقلا عن رفيق دربه الشيخ عبدالعزيز الرشيد من هذه المرحلة فيقول :

" روى لي أبو يعقوب الشيء الكثير عن طفولته التي لم يتخللها فقر مدقع وأحداث . ـدرة ولكنه أصيب بالجدري وهو في الخامسة من عمره، أفقده عينه اليسرى، فأخرجها له المغفور له ثنيان الغانم وكان ملما بالطب العربي . "

ويتابع يونس بحري نقلا عن الشيخ الرشيد ، روايته فيقول : ـ
" بأنه كان يأتي في الجمع و الأعياد إلى مجلس الشيخ مبارك الصباح ليقرأ من القرآن الكريم لأنه كان يجيد ترتيله " بصوت جميل وأداء متقن" ، فيغمره الشيخ مبارك الكبير بعطفه ورعايته "[٨]

فترة التعليم في الكويت :

يذكر محمد ملا حسين أن والد الشيخ عبدالعزيز الرشيد أدخله الكتّاب "المطوع" فتعلم القرآن الكريم ، والخط ومبادىء الحساب ، ثم درس الفقه والعلوم العربية والعقائد على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان . [٩]

ويذكر يونس بحرى في مخطوطه أن دراسة الرشيد فى طفولته كانت دينية وأنه حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو في الثامنة من عمره .

ويتحدث الشيخ الرشيد عن تعلمه الأول في ورقة مخطوطة بدون عنوان ، واضح فيها النقل عن أصل مفقود أن والده اقتاده وله من العمر ست سنوات إلى الملا زكريا

الأنصارى الذي كانت له " مدرسة لتعليم القرآن الكريم تقع مقابل مسجد آل عبدالرزاق من جهة الغرب "(١٠).

ومن خلال هذه الروايات الثلاث ، يتبين أن الشيخ الرشيد تلقى تعليمه الأول فى كتاب "مطوع" الملا زكريا الأنصارى ، وأنه حفظ القرآن عن ظهر قلب خلال سنتين ، ثم انقطع عن طلب العلم فترة عمل فيها مع أبيه ، وعن هذا يقول محمد ملا حسين "ولما ترك الكتاب تعاطى التجارة مع أبيه وكان إذ ذاك من تجار الكويت المعدودين ويشتغل بتجارة الصوف وجلد البهم "الغوزى" فزاول البيع والشراء مدة وهو لايفكر بالعلم لأنه لم يتذوق حلاوته ، لكنه أحب القصص الخرافية كقصة حسن الصائغ وغيرها " ، ثم زاد هذا الولع حتى تحول إلى علاقة شديدة بالعلم فدرس الفقه والعلوم العربية والعقائد على الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان "(١١)

ومن الواضح أن فترة تلقيه العلم عند الشيخ الدحيان ولدت في نفسه شغفا وحبا للمعرفة ، وأن هذه الفترة لم تكن بالقصيرة ، لما كان يتمتع به الدحيان من علم واسع وخلق رفيع أدى إلى معاملة حسنة ، فأحب التلميذ أستاذه وحبب أستاذه إليه طلب العلم وهو ما يبرر تطلع الشيخ الرشيد من بعد تخرجه على يد الشيخ الدحيان إلى مواصلة طلب العلم خارج الكويت .

الارتحال لطلب العلم :

أحس الشيخ عبدالعزيز بعد تلقيه العلم عن الشيخ عبدالله الخلف الدحيان أنه بحاجة إلى المزيد ، وأدرك أنه لن يحصل في الكويت أكثر مما حصل ، فلم يكن فى زمانه من هو أعلى قدما فى العلم من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان فى الكويت ، وكان على طلاب العلم فى الكويت الراغبين في الاستزادة والتوسع آنذاك أن يتوجهوا إلى إحدى ثلاث جهات : (الزبير أو الأحساء أو الحجاز) أما بغداد أو مضر ، فكان السفر إلى إحداهما أملا لا يراود إلا من ساعدته الظروف ، فدرس الشيخ في الثلاثة الأولى ، وقد دفعت همة الشيخ الرشيد ورغبته فى طلب العلم والاطلاع والمشاركة فى الحياة الثقافية إلى الارتحال إلى هذه الجهات جميعا ، بل زاد عليها بسفره إلى الآستانة .

وكانت البداية توجها نحو أقرب الموارد ، الزبير ، التي كانت هي والأحساء خلال القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين مركزين مهمين من مراكز العلم في الخليج والجزيرة العربية ، وكانتا تزخران بصفوة من العلماء في الفقه والحديث واللغة والأدب ، وقد درس في الزبير أو الأحساء أو فيهما معا أكثر رجالات الكويت والخليج العربي ، ومنهم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان أستاذ الشيخ الرشيد ، والشيخ يوسف بن عيسى وكثيرون غيرهما ، وقد فاتح الشيخ عبدالعزيز أباه في مسألة سفره إلى الزبير لطلب العلم فلم يجد لديه تأييدا ، لكن الشيخ أضمر في نفسه هذه الرغبة الكريمة ، وأخذ يبحث عن وسيلة لتحقيق أمنيته ، فما كان منه إلا أن انتهز فرصة غياب والده فرحل لأول مرة إلى الزبير ليتعلم على أيدي علمائها ، ولم يمكث طويلا هناك حتى عاد ، ثم أخذ يتردد على الزبير ، فدرس فيها الفقه والفرائض والنحو، وكان من أبرز أساتذته هناك محمد بن عوجان [١٢]. ومن المرجح أن تكون فترة دراسته في الزبير بعد دخول القرن العشرين ما بين ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ ، إذ كان للشيخ الرشيد من العمر ثمانية عشر عاما .

بعد ذلك أخذ يتطلع إلى المزيد من طلب العلم وكان من الطبيعي أن تكون وجهته الأحساء ، فقصدها في عام ١٩٠٦ على الأرجح ، ودرس فيها الفية ابن مالك في النحو ورسالة التصوف . [١٣]

وبعد ذلك يذكر محمد ملا حسين أن الشيخ الرشيد قصد بغداد سنة ١٩١١ ، ودرس فيها على يد الشيخ محمد شكري الألوسي ، وعلى يد أخيه علاء الدين الألوسي من بعده ، شرح السيوطي على ألفية ابن مالك .

ومن الملاحظ أن اختياره للجهات الدراسية يتناسب في التسلسل مع سلم التحصيل العلمي والتدرج في المعرفة ، مما هو متعارف عليه في العلوم الشرعية وما يندرج معها من علوم اللغة والنحو والصرف فمن حفظ القرآن لدى الملا زكريا الانصارى إلى الفقه وعلوم اللغة العربية والعقائد من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ، إلى تكملة تحصيل الفقه والفرائض والنحو عند محمد بن عوجان في الزبير ، إلى شرح الفية ابن مالك في الأحساء ، ثم شرح السيوطي على الألفية لدى الأخوين

"الألوسي" في بغداد ولاشك في أن الشيخ الرشيد كان يعزز هذا التحصيل العلمي شبه المنهجي بمطالعات وقراءات أخرى ، وتشهد على ذلك كتاباته ومحاضراته وفتاويه ، مما دعا الشيخ يوسف بن عيسى حين عاد الى الكويت إلى اجازته في العلم الشرعي (١٤).

الرحلة إلى مصر والآستانة :

لاتذكر المصادر تسلسلا متفقا عليه لرحلات الشيخ عبدالعزيز الرشيد وتنقلاته في البلاد بعد سفره إلى بغداد فمن المؤكد أنه سافر إلى الآستانة و إلى القاهرة ، و إلى قفقاسيا في بلاد روسيا أيضا ، ومن المستبعد ألا يكون قد مر في بلاد الشام ، وأقام فيها مدة فضلا عن رحلته الحجازية التي تنقل فيها بين مكة والمدينة ، فكيف تم هذا كله ، وهل كان سفره إلى هذه البلاد للأهداف الدراسية التي دفعته للسفر إلى الزبير والأحساء وبغداد ؟ . المصادر لاتذكر عن الدوافع والأهداف التي من أجلها رحل إلى هذه البلاد سوى ما ذكره ولده يعقوب في مخطوطه المختزل القصير من أن والده سافر إلى قفقاسيا للتجارة و إلى مصر للدراسة . كذلك لاتشير هذه المصادر من قريب أو بعيد إلى تواريخ هذه الرحلات . و إذا ما أردنا ترتيب البحث في أسفار الرشيد بحسب الغايات التي سافر من أجلها لكانت سفرا للدراسة ، وسفرا للاطلاع واكتشاف الآفاق وسفرا للتجارة وسفرا للدعوة والعمل الإصلاحي وسفرا لأداء مهمات سياسية ، فان رحلته إلى الآستانة ومصر تأتي في باب الاطلاع واكتشاف آفاق الحياة الثقافية والعمل الإصلاحي الذي أحس في نفسه نزوعا إليه بعد أن نال قسطا لابأس به من العلم . كذلك لاتذكر المصادر والكتابات ترتيب هذه الرحلة ، هل بدأت بالآستانة ثم مصر وانتهت بالحجاز، أم بدأت بمصر ومنها إلى الآستانه ، و إن كنت أرجح أنها بدأت بالآستانة عن طريق بغداد بواسطة الطريق البري ، وأنه سافر من الآستانة بحرا إلى مصر ثم رحل إلى الحجاز مع الحجاج بحرا ، وأقام بالمدينة ثم عاد إلى الكويت . ومهما يكن من أمر خط الرحلة ، فإن سفره إلى الآستانة من الأمور المؤكدة ، ذكرت ذلك معظم المصادر والروايات ومنها رواية ولده يعقوب الرشيد ، وأنه سافر إلى الآستانة بعد أن نال قسطا من العلم ووضع قدميه على بداية طريق النضج الفكرى .

لذا يمكننا هنا أن نطرح التساؤل، لماذا اتجه الشيخ الرشيد نحو الآستانة وما هو الهدف من رحلته تلك؟.

وكما ذكرنا لا نجد في الكتابات والمراجع مايشفي غليلا أو يلقي أى ضوء عن سبب هذه الرحلة، وما ذكره بعض الكتاب من أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد «التقى في الآستانة بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الاسلام أمثال محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» والشيخ عبدالقادر المغربي، فتفتحت عاطفته القومية وتبلورت مفاهيمه الدينية»[٤٠] رغم تأكيده لسفر الشيخ إلى الآستانة إلا أنه لايرى تطلعنا إلى معرفة المزيد عن هذه الرحلة، فهو عندما اتجه إلى الاستانة لم يكن يدري من سيقابل فيها وعلى من سيتعرف.

وفي رأيي أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد اتجه إلى الآستانة لسببين: الأول محاولة التعرف على الأجواء العلمية والتعليمية هناك، وماذا بالإمكان أن يستفيد من ذلك، والثاني الاطلاع على معالم الحياة الثقافية بشكل عام والوقوف على التيارات الإصلاحية السائدة آنذاك واكتشاف ذلك العالم المجهول بالنسبة إليه، والذي بدأت أفكاره تتطلع إليه. وأعني «بالعالم المجهول بالنسبة إليه»: الجانب المقابل لما كان يقوم عليه الفكر الديني في وطنه الكويت وما حولها والمحيط الفكري الذي نشأ فيه، وأعتقد أن توقيت رحلته إلى الآستانة كان في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، وأنه حين كان في بغداد (قرأ في ما كان يتوفر من مجلات فيها عن الحركة الإصلاحية العربية الإسلامية التي يتولاها علماء كبار يمثلون الامتداد الفكري والدعوة إلى التجديد والنهوض والتحرر التي نادى بها المصلحان محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، فاستهواه السؤال عن هذه الحركة وعن أولئك العلماء الذين كانوا ينادون بتحرير العقل العربي من الخمول والخرافة والتزمت وتشاء الظروف أن يلتقي الرشيد في الآستانة اثنين من أولئك الرجال، محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» والشيخ عبدالقادر المغربي، وربما التقى غيرهم، واستمع إلى جانب من آرائهم، وقرأ وعايش أفكارا جديدة لاتتنافى مع جوهر ماتلقاه من العلم، فأخذ يراجع نفسه ويعيد النظر فيما اعتقد وكتب، وهو الذي دعا في كتابه «تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين» الذي طبعه في بغداد إلى تفضيل الرجال

على النساء ومحاربة تعليم المرأة [١٦]، وتحريم العصرية وكذلك المجلات والجرائد لأنها في رأيه تجمع من الأخبار ماليس بصحيح، وفيها من الآراء ما يعد معتنقها من الزائفين إلى غير ذلك من الأفكار التي اعتنقها في بواكير حياته بتأثير البيئة الملتزمة والمحيط المغلق، فالعلوم العصرية من فيزياء وجغرافيا ونحوها تفسد العقيدة لأن فيها نظريات مخالفة للدين، ككروية الأرض وحركتها وكون المطر بخارا يتصاعد من الأرض.

ويقرر الشيخ الرشيد - بعد ذلك - أنه كان على خطأ في هذا كله، ويعزو الفضل الأعظم في إتضاح الحق له في هذه الشؤون إلى أمور ثلاثة: مطالعة الصحف والمجلات وقراءة الكتب العصرية، ورحلاته إلى بلدان مختلفة واجتماعه بكثير من أهل الفضل وما دار بينه وبينهم من بحث في هذه المسائل [١٧]

الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مصر.

تتضارب الروايات في الأسباب والدوافع التي جعلته يسافر إلى القاهرة بعد الآستانة. فمن هذه الروايات ما تقرر أنه رحل إليها أملا في دخول دار الدعوة والإرشادالتي أسسها الشيخ محمد رضا صاحب مجلة المنار «إلا أن الظروف لم تتهيأ له لدخولها» فبقي في مصر حوالي أسبوع.. ومنها مايقرر أنه رحل إلى مصر ليدخل الأزهر الشريف وقد درس فيه، ولم تحدد هذه الرواية مدة دراسته في الأزهر ولم تشر إلى نتيجة هذه الدراسة، وهناك روايات أخرى تذكر أنه أقام في مصر «فترة وجيزة» ومنها مايحدد بقاءه في مصر بمدة سنتين، وبعضهم يجعل فترة بقائه في مصر بضع سنين.

ومن المستبعد فيما أرى أن تكون إقامته في مصر أسبوعا، لأ نه من غير المعقول أن يشد رجل كعبد العزيز الرشيد الرحال الى مصر، تدفعه الحماسة ويحدوه الشوق إلى المعرفة والاكتشاف والمشاركة، وأن يتحمل مشاق السفر في ذلك الوقت، ثم يقيم بعد ذلك أسبوعا. كما أني أستبعد أن يكون هدفه الوحيد هو الانتساب إلى دار الدعوة والإرشاد لاغير، فإذا وجد الباب موصدا قفل راجعا. وفي رأيي أن خير سبيل لتقدير المدة الزمنية التي قضاها الشيخ عبدالعزيز في مصر ولو على وجه التقريب هو النظر في النتائج التي أسفرت عنها هذه الزيارة وارتباطها بالهدف منها:

وفي الحديث عن الهدف من رحلته إلى مصر نجد في الكتابات حول هذه النقطة اتجاهين: الأول هو الرغبة في طلب المزيد من العلم، يتحدث عن ذلك محمد ملا حسين فيقول:

«ويظهر أن بغداد لم تشبع شهوته الذهنية فرحل إلى مصر أملافي دخول دار الدعوة والإرشاد»[١٨]، كما يذكر خالد سعود الزيد أنه رحل للدراسة في الأزهر، أما ولده يعقوب الرشيد فيذكر أن أباه رحل إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف وأنه درس فيه.[١٩]

والاتجاه الثاني: هو الرغبة في الاطلاع على مناهج الحركة الإصلاحية العربية الإسلامية التي كان يقودها تلامذة الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، والتعرف على رجالات هذه الحركة، وقد أشار إلى هذا الاتجاه خالد سعود الزيد بقوله:-

فأقام في مصر بضع سنين تعرف على أدبائها ومفكريها ومن كان يفد إليها من أقطاب الفكر وزعماء الإصلاح والسياسة من ذلك الحين.[٢٠]

وإذا أردنا الخروج برأي حول هذه المسألة، نجد أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد بعد فترة تلقيه تعليمه في الكويت والزبير والأحساء وبغداد، نظر إلى أحوال مجتمعه بعين غير العين التي كان ينظر بها من قبل، فقد أخذ يتعامل مع طبقة جديدة من المتنورين وأحس أن الحياة تتغير، والمجتمع يتطور وبخاصة بعد افتتاح المدرسة المباركية ومن بعدها الجمعية الخيرية، وكان من اتصاله بفرحان الخالد والشيخ يوسف بن عيسى والشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وبمن أخذ يتوافد على الكويت من رجال متنورين كالشيخ محمد الشنقيطي والشيخ محمد فراشى الأزهري المصري والشيخ حافظ وهبه والشيخ عبدالعزيز بن محمد آل مبارك الاحسائي والسيد عبدالقادر الحسيني البغدادي وعبدالملك الصالح، كل هؤلاء وأمثالهم حفل بهم المجتمع الثقافي الكويتي في مطالع العقد الثاني من القرن العشرين، وهذا يعني أن الشيخ الرشيد أخذ يعايش هذا الجو بعد عودته من الدراسة في بغداد سنة ١٩١١، ويتوافق هذا مع توفر الصحف العربية في الكويت في هذه الفترة مايعزز اتصال الشيخ عبدالعزيز بهذه الدنيا الثقافية المتنورة

الجديدة التي ما كانت لتتيسر له من قبل، حين كان منغمسا في جو علمي تعليمي تقليدى للغاية. وقد ذكر سيف مرزوق الشملان أن أسرة فرحان الخالد هم أول من جلب الصحف والمجلات من مصر عام ١٩٠٨.[٢١] كما يذكر أن ديوانهم كان ملتقى رجال الأدب والعلم.

وكان لمعايشة الشيخ عبدالعزيز الرشيد لصديقه فرحان الخالد بتأسيس الجمعية الخيرية عام ١٩١٣، ولتأسيس المدرسة المباركية من سنة ١٩١١ أثر في تفتح ذهنه إلى الأعمال الإصلاحية، فنبتت في خاطره مثل هذه الأفكار. ورأى أن بلده بحاجة إلى عطاء كبير، وأن مثل هذا العطاء وتلك الأفكار الإصلاحية لاتتعارض مع الدين، بل أن الدين يدعو إلى التنور والمعرفة، وأن ما قرأه في صحف مصر لكبار العلماء يدعو إلى مثل ذلك.

لذا فقد عقد العزم على رؤية هذا العالم المتنور، والاتصال بأولئك الرجال المصلحين الذين يدعون إلى التحرر من الجمود والعقم الفكري عن طريق إحياء الفهم الصحيح للدين، والنهوض والتطلع إلى التقدم لتلحق الأمة بركب الحضارة الحديثة بعد أن فاتها الكثير، وذلك عن طريق العلم ونشر الثقافة وتحسين أوضاع التعليم.

ماذا صنع الشيخ الرشيد في مصر:

ذكر يعقوب الرشيد أن والده درس في الأزهر الشريف[٢٢]. وأشار خالد سعود الزيد كما أشرنا من قبل أن الشيخ الرشيد رغب في الذهاب إلى مصر للدراسة في أزهرها الشريف.[٢٣]

وتذكر أكثر المصادر التي كتبت عن الشيخ أنه تعرف في مصر على الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، الزعيم التونسي، وعلى كثير من أدبائها ومفكريها ومن كان يفد إليها من أقطاب الفكر وزعماء الإصلاح والسياسة في ذلك الحين[٢٤]. كما يستفاد من مطالعة مجلة «الكويت» التي أصدرها الشيخ الرشيد عام ١٩٢٨ أنه كان على صلة

بمثل هؤلاء، إذ استكتب في مجلته الأمير شكيب أرسلان، ومحمد علي الطاهر صاحب مجلة الشورى القاهرية، ومحمد رشيد رضا صاحب المنار.

ويمكننا القول أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد أقام في مصر مدة تكفي حضوره دروسا في حلقات الأزهر الشريف واطلاعه على مناهج الحركة الإصلاحية وتعرفه على عدد من أقطابها كالشيخ محمد رشيد رضا، ومحمد علي الطاهر، وعبدالقادر المغربي، وإلمامه بفن تحرير الصحف وإصدارها. صار يكتب وينشر بعدها في الهلال والشورى وكان من آثار هاتين الرحلتين أن تبلورت فيه شخصية العالم المثقف والمصلح المطلع حتى من حيث الشكل والمظهر فقد أخذ يرتدي زي علماء الدين العرب، العمامة البيضاء والمعطف الطويل، كما تفهم الأفكار الإصلاحية المطروحة على مستوى العالم العربي، ووقف على أهم المسائل الاجتماعية والثقافية والأدبية مما أدى إلى بلورة أفكاره ومفاهيمه التي طرحها فيما بعد في محاضراته ومقالاته وكتاباته في مجلته «الكويت».

وأسهمت إقامته في القاهرة وحضوره الدروس في الأزهر الشريف في إغناء حصيلته العلمية ـ وبخاصة في الفقه ـ وقد دلت فتاويه وكتاباته في هذا المضمار فيما بعد على جدوى دراسته في الأزهر وإنها كانت دراسة وافية لايمكن تحقيقها خلال أسبوع، وقد لاتكون ذات صفة دراسية منتظمة تؤدي في النهاية إلى التخرج والحصول على إجازة رسمية، وظهرت آثار تفقهه في العلم خلال هذه الرحلة عند ما أجيز للتدريس في الحرم النبوي الشريف وعندما أجازه الشيخ يوسف بن عيسى في الكويت للإفتاء.

الرحلة الحجازية:

بعد انتهاء رحلة الشيخ الرشيد من مصر وإقامته فيها أراد العودة إلى الكويت، وكان موسم الحج قد اقترب، وتيسر السفر بحرا مع الحجاج إلى جدة، فنوى الشيخ الرشيد الحج وأبحر.

يذكر محمد ملا حسين « أن الشيخ الرشيد قصد زيارة البلاد المقدسة بعد زيارته لمصر، وأنه لم يمكث بمكة مدة طويلة، إذ بارحها بعد موسم الحج عام ١٣١٣هـ ـ

١٩١٢م، وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ألقى عصا ترحاله وظل فيها نحو عشرة أشهر» .[٢٥]

وقد ذكرت رحلة الشيخ الرشيد إلى المدينة وإقامته فيها أكثر الكتابات التي عرضت لسيرته الذاتية، إلا أنها لم تخل أيضا من الاضطراب في الرواية والاختلاف في التوقيت ومدة الإقامة، وفى ترتيبها من موقعها بين رحلاته، ففي حين يذكر محمد ملا حسين أنه رحل إلى مكة ومنها إلى المدينة بعد رحلته إلى مصر ـ وهذا الذي ترجمه. ذكر آخرون أنه قصد المدينة المنورة بعد دراسته في الأحساء.[٢٦]

وهذا مانستبعده لأن هذه الرواية لاتكتفي بوضع رحلته إلى المدينة بعد رحلته إلى الأحساء، بل تضيف بأنه تولى في المدينة منصب الإفتاء لمدة سنتين، ونحن نعلم أن رحلته إلى الأحساء كانت لطلب العلم وأنه سافر إليها بعد دراسة متقطعة في الزبير، وهي دراسته الأولى بعد تلقيه العلم في الكويت، ومن المعروف أن منصب الإفتاء لايعطى إلالمن تمكن في العلوم الشرعية وحاز مرتبة «الفقيه الذي بلغ رتبة الاجتهاد»، ولم يكن الشيخ عبدالعزيز قد بلغ ذلك من خلال دراسته التي سبق ذكرها، كما أن سنه آنذاك لم تكن تؤهله إلى ذلك، فقد وقعت رحلته إلى الزبير ثم إلى الأحساء، هذا فضلا عن أن روايات أخرى ذكرت أن علماء المدينة أجازوه في التدريس في الحرم النبوى لاغير.

ويذكر البدوى " الملثم " أن سفر الرشيد إلى المدينة المنورة جاء بعد سفره إلى الاحساء وتلقى العلم فيها[٢٧]، وهذه الرواية توافق الرواية السابقة، إلاّ أن البدوي الملثم يضع توقيت هذه الرحلة في عام ١٣٢١هـ. وهي توافق (١٩٠٣)، وهذا يدل على أن سنه كانت هي السابعة عشرة إذا أخذنا برواية يونس بحري بالنسبة لتاريخ مولده وهو (١٨٩٧)[٢٨] ثم يضيف " البدوي الملثم " أنه أخذ العلم في المدينة عن الشيخ مكي بن عزوز، ثم تولى منصب الإفتاء فيها ـ أى في المدينة المنورة ـ لمدة سنتين، ومن المستبعد أن ينتهي طالب علم من الأخذ عن ابن عزوز ثم يتولى منصب الإفتاء مباشرة، مع الأخذ بالاعتبار وجود علماء كبار وفقهاء مجتهدين في المدينة المنورة. أقربهم

إلى الذهن ابن عزوز نفسه، علما أن المراجع تشير إلى أن منصب الإفتاء في المدينة آنذاك لم يكن شاغرا.

كذلك يبدو الاضطراب في توقيت رحلة الشيخ الرشيد إلى المدينة المنورة حين نطلع على مخطوط ولده يعقوب الرشيد، فهو يضع رحلته إلى المدينة أول محطة في طلب العلم، ومنها ذهب إلى الأحساء، ويذكر انه درس فيها ــ أي في المدينة المنورة ـ على الشيخ ابن عزوز عالم وقته".

وأرى أن الشيخ الرشيد جاء الحجاز قادما من مصر في موسم الحج فأدى الحج في مكة ومكث فيها فترة ثم انتقل إلى المدينة المنورة بنية طلب العلم، آخذة بذلك رواية محمد ملا حسين،[٢٩] التي تذكر أنه وصل إلى المدينة عام ١٩١٢، وظل فيها نحو عشرة أشهر ودرس فيها تكملة ألفية العراقي في مصطلح الحديث، حفظا وقراءة ونقدا، ثم درس مصنف "جمع الجوامع" ومصنف "عقد الجمان" للسيوطي، وأن الرشيد بعد أن درس في المدينة المنورة هذه المواد، عمل في التدريس ولما كان المترجم عنه حنبلي المذهب فقد رغب الحنابلة في المدينة إسناد الوظيفة الحنبلية إليه،[٣٠] واعتقد أن "منصب الإفتاء" الذي أشارت إليه الرواية الواردة عند خالد سعود الزيد ما هو إلاّ هذه "الوظيفة الحنبلية" وهي تعني "مشيخة الحنابلة" "أو شيخ الحنابلة" وهو على أى حال منصب على جانب من الأهمية لأنه يقتضى الإفتاء، وأعتقد أن قصة هذا المنصب جاءت من خلال قيام الشيخ الرشيد بالتدريس في الحرم النبوي. وقد لمس حضور درسه من الحنابلة سعة علمه وفهمه وسمو نفسه وحسن خلقه فأحبوه والتفوا حوله ورشحوه ليكون شيخهم، ويفسر هذا ماجاء في رواية محمد ملا حسين إذ يقول: "وسعوا في الأمر لدى القاضي والمفتي إلاّ أنهم لم يفلحوا لوجود منافس له من أهل المدينة نفسها".

وتمضي رواية محمد ملا حسين فتقول: "إلاّ أن المفتي علق الإذن له في التدريس على نيل شهادة من بعض علماء الحرم، فلم يتردد هؤلاء بالشهادة له بالفضل والمقدرة[٣١]".

وأرى أن هذه الرواية أقرب الى الواقع لأنها أقرب الى المعقول وإلى القرائن التي توصلنا إليها، فإن ترشيح شاب متقن حافظ على قدر جيد من العلم والمعرفة وعلى درجة رفيعة من الخلق الطيب والسيرة الحسنة والتقوى والورع إلى وظيفة التدريس في المسجد النبوى أمر مقبول وارد، بخلاف منصب الإفتاء أو القضاء. وفي هذا يقول عبدالرزاق البصير: (لقد رغب أهل المدينة المنورة في أن يجعلوه قاضيا عندهم، لكن وجود منافس من أهل المدينة حال بينهم وبين ما كانوا يشتهون غير أنهم استطاعوا أن يجعلوه مدرسا في الحرم النبوى الشريف)[٣٢]

تبقى مسألة مدة بقائه في المدينة، فهذه أيضا من المسائل التي لم تسلم من الاضطراب والخلاف، فمن قائل إنها سنتان[٣٣]، إلى قائل بأنها "عام أو بعض عام"، وهي مدة أقام فيها الشيخ عبدالعزيز الرشيد على حالين، حال طلب العلم، وحال التدريس من بعد الطلب[٣٤]. وأرى أن رواية محمد ملا حسين من أن إقامته في المدينة راحت تسعة أشهر في غضون ذلك العام ١٩١٢، رواية مقبولة لأنها لاتتنافى مع غيرها من القرائن. ويمكننا القول أن شخصية الرشيد ـ بغض النظر عن تناقض الروايات حول رحلاته ـ قد نضجت بعد رحلته إلى المدينة وأصبح مؤهلا للعطاء.

الرحلة بقصد التجارة:

لاشك في أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد عمل في التجارة، وعمله في التجارة تم في مرحلتين الأولى مع والده، والثانية بمفرده. ومن الواضح أن رحلته إلى الآستانه وإلى مصر ثم إلى الحجاز تمت بعد تحصيله وفرا ماليا مناسبا، وأن هذا الوفر حصل عليه من تجارته وأنفقه بعد ذلك على طلبه للعلم في رحلاته.

وقد ذكرت المصادر أنه عمل في التجارة ولم تحدد هذه المصادر الفترات التي انصرف فيها إلى التجارة دون العلم، الاّ أن محمد ملا حسين أشار إلى الفترة التي عمل فيها في التجارة مع والده، قال: "ولما ترك المكتب" الكتّاب "" المطوع "" وهو مدرسة

الملا زكريا الأنصارى " تعاطى التجارة مع أبيه " ثم تعين هذه الرواية نوع التجارة بقوله : " وكان والده إذ ذاك من تجار الكويت المعدودين ، ويشتغل بتجارة الصوف وجلد البهم " الفوزى " ، فزاول البيع والشراء مدة وهو لايفكر بالعلم " (٣٥)

وبرأيي أن هذه الفترة تقع في نهاية القرن التاسع عشر حين كان له من العمر أربع عشرة سنة .

وأشار البدوى الملثم إلى عمله في التجارة بقوله : " وليجمع بين الدين والدنيا أقبل على مزاولة التجارة فأصاب فيها سهما وأخطأ سهما ، لأن طبيعة الأدب غلبت على طبيعة الكسب (٣٦) .

ويذكر عبدالرزاق البصير أن الشيخ الرشيد بعد عمله مديرا للمدرسة المباركية عام ١٩١٥ ومزاولة التدريس فيها لمدة سنتين " أسس بعض المعلمين مدرسة جديدة باسم المدرسة العامرية " ولكنه لم يعلم فيها لانصرافه إلى التجارة (٣٧) .

وعلى الرغم أن هذه الرواية أهملت دور الشيخ الرشيد في تأسيس هذه المدرسة وهو دور رئيسي باعتباره اسسها على نفقته بالتعاون مع بعض المعلمين إلا أنه يستفاد أن فترة عمله بالتجارة بدأت في عام ١٩١٩ .

وكما عمل في التجارة فقد سافر من أجلها ، وأفاد بذلك يعقوب الرشيد في المقابلة التي أجريت معه فقد ذكر أن والده سافر إلى قفقاسيا للتجارة في الجلود (٣٨) وكانت عبارته كالتالي " بعد أن رجع من مصر سافر عدة سفرات منها إلى بلاد القفقاس متاجرا في الجلد " ، وبالنظر إلى موقع بلاد القفقاس نجد أنها تقع في الجنوب الغربي من روسيا ، حدودها الجنوبية مع الدولة العثمانية ، يحدها من الشرق بحر قزوين ومن الغرب البحر الأسود ، فهي جزء من روسيا ، وأغلب الظن أن الشيخ الرشيد سافر إلى القفقاس حين رغب في السفر إلى الآستانة ، فباع بضاعته في القفقاس ثم أكمل سفره إلى الآستانة ومنها إلى مصر والحجاز ، ومعنى ذلك أن التجارة والسفر في طلب العلم

كانا هدفين متلازمين في حياة المرحوم عبدالعزيز الرشيد فهو يغطي تكاليف سفره من كده ومن أرباح تجارته .

رحلاته السياسية :

قد يبدو هذا الأمر غريبا وجديدا على حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد لأن المعروف والمذكور في الكتابات التي تحدثت عنه أن عمله السياسي كاد ينحصر في بعض الأعمال والمواقف بمشاركته في مفاوضات الصلح بين الإخوان والشيخ سالم في حرب الجهراء عام ١٩٢٠ بل كان الساعد الأيمن للشيخ سالم المبارك . وكذلك اشتراكه في أول مجلس للشورى في الكويت في عهد الشيخ أحمد الجابر ، بمعنى أن نشاطه في السياسة قبيل إصداره مجلة الكويت وقبل رحيله إلى أندونيسيا ، اقتصر على حدود الوطن ، الاّ أن يونس بحري رفيق دربه في الثماني السنوات الأخيرة من حياته أماط اللثام عن هذا النوع من الرحلة التي يمكننا تسميتها بالرحلة السياسية في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد .

فقد اختاره الشيخ أحمد الجابر أمير الكويت عام ١٩٢٥ ليكون مبعوثه الخاص إلى الملك فيصل الأول ملك العراق ، ويستفاد من مخطوط يونس بحرى المعنون " صفحات مطوية من حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد " أن الرشيد سافر إلى العراق في شهر شباط من عام ١٩٢٧ بتكليف من الأمير المغفور له الشيخ أحمد الجابر في مهمة رسمية وكان برفقته (السائح العراقي يونس بحرى) الذي وفد إلى الكويت مبعوثا من الملك فيصل الأول ملك العراق آنذاك وكانت المهمة التي كلف بها الرشيد تتعلق بهجوم الإخوان على أطراف العراق في صحراء النجف والسماوه بقيادة فيصل الدويش ، وقد قام الشيخ الرشيد بالمهمة خير قيام ، وقابل الملك فيصل في بغداد واجتمع به لمدة ثلاث ساعات ، وفي ذلك يقول يونس بحرى : " وقضينا ثلاث ساعات في الديوان الملكي ، والشيخ عبدالعزيز الرشيد شرح للملك كل شيء ، فقد كان أول مؤرخ للكويت أعلم الناس بجماعة فيصل الدويش وطبيعة غزواتهم التي سبق أن جربوها ضد قبائل الكويت وكيف حاصروا مدينة الكويت بعد الحرب العالمية الأولى " .

ويذكر يونس بحرى بعد ذلك استشارة الملك فيصل للشيخ عبدالعزيز الرشيد ،

وكيف أعطى المشورة المحكمة التي عمل بها الملك، وحين أريد توجيه الشكر للرشيد قال: " ليس من حقنا أن نتقبل الشكر، فالذي يستحق الشكر هو أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح، وما نحن إلاّ رسله وما على الرسول إلاّ البلاغ. اللهم اشهد اننا بلغنا "[٣٩].

ومن مطالعة أحداث هذه الرحلة منذ صدور التكليف الأميري بها إلى حين العودة منها، يتبين أن الشيخ الرشيد حقق نجاحا في هذه السفارة التي تمت على أعلى المستويات فقد أثار إعجاب الملك فيصل الأول، ورجال دولته وإعجاب مرافقه يونس بحري الذي تحدث عن ذلك في مخطوطه المذكور مما يكشف عن جانب جديد من جوانب شخصية " عبدالعزيز الرشيد " وجدارته في تولي المسئوليات ـ الكبيرة على مستوى الدولة، وما يتمتع به من حكمة وحنكة ودراية وأمانة، وهذا بحد ذاته يعطى لآرائه التي طرحها في مقالاته ومحاضراته بعدا وقيمة، وأصبح من حق الرشيد أن يطلق عليه صفة " رجل الدولة " في العمل السياسي[٤٠].

(الدعوة إلى الرياض والرحلة إلى البحرين وأندونيسيا)

لم ترد دعوة الرشيد إلى الرياض في أى مرجع من المراجع التي تحدثت عنه، إلا أن يونس بحرى ذكرها مؤخرا في مخطوطه السابق مؤكدا قيامه ورفيق دربه الشيخ عبدالعزيز الرشيد بزيارة الرياض تلبية لدعوة من الملك عبدالعزيز آل سعود، وذلك عن المرحلة الثالثة من مراحل حياة الشيخ الرشيد: " . . . ثم انتهت بذهابنا معا إلى الرياض بدعوة من المغفور له الملك عبدالعزيز ابن الامام عبدالرحمن آل سعود رحمه الله بتشجيع من سمو الشيخ أحمد الجابر أمير الكويت الخالد. " .

وذكر يونس بحرى أن الشيخ أحمد الجابر زودهما بكتابي توصية أحدهما للملك عبدالعزيز والآخر لأمير البحرين، كما زودهما بتذاكر السفر إلى البحرين[٤١].

فهل تمت هذه الزيارة إلى الرياض فعلا. ؟ أم أن المحطة الأولى كانت هي البحرين، وهناك حصل التعديل في مسار الرحلة ثم تمت المقابلة مع الملك عبدالعزيز في الأحساء؟.

يذكر يونس بحرى أن الشيخ الرشيد تلقى دعوات ملحة من أندونيسيا، تدعوه هو ويونس بحرى لنقل مجلة الكويت" إلى بتافيا (جاكارتا) بأندونيسيا التي كان يطلق عليها «جاوه» في ذلك الوقت لتكون «الكويت» لسان حال الدعوة الإسلامية.

كما أن الشيخ الرشيد نفسه يشير إلى ذلك بقوله: «إنه ماجاء البحرين إلا عابرا لينطلق منها إلى أندونيسيا، إلا أن كرم أهلها ولطفهم وحسن معاملتهم وترحيبهم جعله يغير من خطته ويقيم في البحرين، ناويا أن يتخذها وطنا ثانيا [٤٢].

لقد كانت الدعوة إذن من أجل السفر إلى أندونيسيا كي يكون الشيخ الرشيد فيها داعية للتضامن الإسلامي، وللدعوة الإسلامية، ولا نستبعد أن تكون من مهمات الرشيد الترغيب في أداء فريضة الحج، ودفع ما كان يشاع في البلاد الإسلامية من انعدام الأمن في الحجاز مما قلل من عدد الحجاج الآسيويين.

وأغلب الظن أن زيارة الرياض تمت، وفيها تم الاتفاق على الإقامة في أندونيسيا للأغراض التي ذكرناها آنفا، وهي بالنسبة للشيخ الرشيد نقطة جد مهمة في حياته، فقد ترتب عليها انتقاله إلى الغربة الكبرى الحقيقية، هي غربة طويلة، اسغرقت كل مابقي من حياة هذا المجاهد الكبير وأدت في النهاية لأن يدفع حياته ثمنا لها عام ١٩٣٦.

رحلة البحرين:

انتقل الشيخ الرشيد إلى البحرين بعد رحلة الرياض في الأغلب، وكان القصد أن تكون البحرين محطة الانطلاق إلى أندونيسيا إلا أن الزيارة العابرة امتدت طويلا. حتى أن الشيخ الرشيد فكر في أن يحضر عائلته من الكويت لتقيم معه في البحرين، التي كان وصوله إليها في الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ.

وللشيخ عبدالعزيز الرشيد صلة قديمة بالبحرين وببعض المثقفين من أهلها كصلته بالشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، والشيخ محمد عقيل الخنجي والشاعر عبدالله الزايد، فقد راسل الشيخ الرشيد الشيخ إبراهيم بن محمد حسين كان يدون

وقائع تاريخ الكويت»[٤٣] كما ذكر الخنجي صداقته القديمة بالشيخ الرشيد في كتاب «المنتدى الإسلامي»[٤٤] كما كان لديه الرغبة القديمة في الإقامة بالبحرين، فقد ذكر محمد ملا حسين أن الشيخ الرشيد طلب - في أثر معركة الجهراء ١٩٢٠ التي شهدها وجرح فيها - من الشيخ سالم المبارك أمير الكويت آنذاك أن ينتقل إلى البحرين للتدريس هناك «إلا أن الأمير وبعض وجوه البلد لم يدعوه يذهب حرصا على وعظه وإرشاده»[٤٥].

وصل الشيخ الرشيد البحرين عام ١٩٢٥ فلقي من أهلها ومن أصحابه فيها كل ترحيب ومودة ومازال كرم أهلها وترحيبهم وإحاطتهم إياه بالإكبار والمحبة حتى نزل عند رغبتهم فنوى الإقامة فيها، وعمل مدرسا في مدرسة الهداية الخليفية التي أنشئت سنة ١٩١٩ كما عين عضوا في المنتدى الإسلامي، وأسندت إليه مهمة التدريس عن طريق الندوات والمحاضرات،[٤٦] واصل إصدار مجلته «الكويت»[٤٧] من البحرين. أحاطت برحلة الشيخ إلى البحرين وإقامته فيها على النحو الذى أوردناه أقاويل وإشاعات مفادها أن خلافا وقع بين أمير الكويت يومئذ الشيخ أحمد الجابر وبين الرشيد أدى إلى نفيه.

وقد بادر الشيخ الرشيد إلى تكذيب هذه الاشاعات على صفحات مجلة الكويت نكتب تحت عنوان «تكذيب نفي صاحب هذه المجلة من الكويت إلى البحرين».

«لقد علم سمو أمير الكويت الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح، وعلم إخواني الكويتيون عموما بأن الغرض من سفرى الأخير هو القيام برحلة في الخليج وجاوه وسنغافوره من الهند الشرقية ليس إلا، وقد كنت مصمما العزم على تنفيذ تلك الخطة حتى بعد وصولي جزيرة البحرين المحبوبة غير أن لطف أهلها الأصائل وإلحاحهم الشديد علي في البقاء بين أظهرهم حدا بي إلى أن أنزل عند إرادتهم، وأتحول عما عزمت عليه تقديرا لعواطفهم الشفافة، فأقمت هناك مشمولا بعطف أميرهم ومأمورهم، وصغيرهم وكبيرهم حتى أنسيت بما لقيته من اكرام مسقط الرأس والبلد التي هي أول أرض مس جلدى ترابها، وحتى حبب إلي اتخاذ البحرين وطنا ثانيا بعد الكويت ولهذه الغاية نفسها ابتعت بيتا في المنامة من تلك الجزيرة الفتانة لنقل العائلة إليه».[٤٨]

وقطع الشيخ الرشيد بقوله هذا جهير، كل خطيب وأسكت كل إشاعة حول رحلته. ولم يكتف الرشيد بالاطمئنان إلى الإذن الأميرى الذي كان مشفوعا بكتاب التوصية وتذكرة السفر البحرية، بل أنه ظل على صلة بأميره في كل مايعرض له، فما أن عقد العزم على الإقامة في البحرين وإحضار الأهل إليها حتى بادر إلى الكتابة إلى الأمير يشعره بذلك ويستأذنه من جديد بقوله: «وأشعرت سمو أمير الكويت بذلك نظرا إلى أنه حاكم البلد الذي يضم من أريد نقلهم وله السلطة التامة على من فيه أشعرته بهذا لأعرض رأيه في تلك النقلة، وهل هناك موانع تحول بيني وبينها، إذا ماحاولت تنفيذها أم لا، فأجابني بما يأتي:

«جناب الأجل الأفخم الأخ العزيز الشيخ عبدالعزيز الرشيد المحترم دام محروسا.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن خاطركم، وعنا لله الحمد بخير وعافية، ودمتم كذلك.

بعده:

في أبرك ساعة أخذ بيد المسرة كتابكم العزيز رقم الجارى، سرني دوام صحتكم عرفنا إن عزمكم تنقلون الأهل إلى البحرين وتقيمون فيها، حقيقة لانود فراقكم وانتقالكم من وطنكم، ولكن إذا أنتم راغبون في ذلك فلا بأس، الله تعالى يحفظكم ويوفقكم، هذا ودمتم محروسين.

أحمد الجابر، ١٨ ذى القعدة ١٣٤٧.[٤٩]

هذا هو نص الرسالة التي أوردها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلته الكويت، ثم أورد بعدها التعليق التالي:

جرى كل هذا ولم يدر في خلدى أن يجترىء الناس على قلب الحقيقة فيذاع كذبا وزورا في جريدة النهضة العراقية الغراء بأن سمو أمير البلاد أبعدني من وطني إلى البحرين عقابا لمدحي جلالة الملك عبدالعزيز آل السعود في مجلة «الكويت». لم يدر

في خلدى ولا في خلد سواى من الأصدقاء الأفاضل الذين تساءلوا كثيرا عن مبالغ الخبر من الصحة، وعن البواعث التي دفعت ذلك الأثيم إلى أن يفترى على أناس أحياء يرزقون».

وحول افتراء جريدة النهضة العراقية على الشيخ الرشيد كتب في مجلة الكويت:

ولا عتب على جريدة النهضة العراقية الغراء في نشرها ذلك الخبر، لأنها نشرته كما روى لها، وإنما العتب الشديد على ذلك الأديب الكويتي الذي رأى الحقيقية ماثلة أمام عينيه فأسدل بينه وبينها حجابا ثخينا. وأكاد أجزم بأن لهذا الأديب نزيه الضمير والوجدان غرضا سيئا في تشويه سمعة أمير الكويت وغرضا آخر إيقاع سموه وبلده بمشكلة جديدة مع جلالة ملك العرب والإسلام اليوم عبدالعزيز آل السعود وذلك أن نفي الناس عن أوطانهم لمجرد مدحهم أعمالا صالحة لرجال هم أهل المدح والاطراء، ثم يضيف الرشيد:

تلك هي الحقيقة الناصعة في سفرى من الكويت إلى البحرين، لاكما يقوله ذلك الأديب «الكويتي» الذي لم يفضح بافترائه إلا نفسه، أقول هذا إخبارا بالواقع لاتألما مما نشر ولا تأثرا من النفي لوكان صحيحا، إذ أنا على يقين أن النفي إذا لم يكن عن دنية لايزيد صاحبه الا علوا وشرفا:

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

أما إذا قيل: إن كان خبر النفي غير صحيح فلماذا تركت وطنك واعتزمت الاعتياض عنه بالبحرين، فها هنا أقول ـ والأسف يملأ الفؤاد والدمع يترقرق في العين ـ إن لهذا ياصاح أسباباً غير ماتقدم لا أحب أن أنشرها اليوم إبقاء على سمعة أقوام أعزاء أرجو أن يبصرهم الله بعواقب ما يأتونه من أعمال تذهب بزهرة «فتاة وطنهم الفتية» التي أخذت تستعطف بصوت يذيب الصم الصلاد، ولا من سامع أو مجيب سأواريها اليوم في قبرها المظلم إلى أن يأذن الله ببعثها من مرقدها [٥٠].

وقد زاد الرشيد على ذلك بأن بعث بكتاب إلى أمير الكويت الشيخ أحمد جابر قال فيه :

« اطلعت اليوم على ما قالته النهضة العراقية عن سفري من الكويت إلى البحرين، ونظرا إلى أنه مخالف للحقيقة والواقع ، فقد اعتزمت على نشر تكذيب لهذا الخبر في جرائد مصر والعراق ، وتضمين التكذيب كتابكم الكريم الذي أرسلتموه بشأن استيطاني البحرين ، والذي أرى أنه يجب على سموكم تكذيب الخبر رسميا ، اذ سكوتكم عليه وعدم تكذيبكم إياه لا تخفاكم عاقبته . » (٥١)

وقد استجاب أمير الكويت فأرسل إلى الشيخ الرشيد كتابا ضمنه التكذيب المرجو وهذا نصه :

جناب الأجل الأفخم الأخ العزيز الشيخ عبد العزيز الرشيد المحترم دام محروسا .

تحية وسلاما ، بعده في أبرك ساعة أخذنا بيد المسرة كتابكم رقم ٥ الجاري ، وفهمت ما شرحتموه بخصوص ما قالته جزيدة النهضة العراقية وغيرها من الجرائد ، هذا كلام واش ناشيء من دليل مبطل وقد أمرنا بتكذيب ما قال الآن ، رواحكم من الكويت معلوم ، وكل وطني غيور يعرف منزلتكم عندنا والأسباب التي أوجبت رواحكم ، ولا بد اطلعتم على مضمون الرد في جريدة الأوقات العراقية» . (٥٢)

ويتضح من رد الأمير أنه أمر بتكذيب الخبر في الصحف العراقية ، وقد تم ذلك بالفعل في جريدة الأوقات كما ورد في النص المذكور ، وقد عزز الشيخ الرشيد موقفه بعد ذلك بنشر رسالتين من أصدقائه في الكويت ، إحداهما من الشيخ عبد الله الخلف الدحيان ، والثانية من أحمد بن خالد المشاري» (٥٣)

هذا ما جاء عن رحلة الشيخ عبد العزيز الرشيد إلى البحرين وإقامته فيها التي دامت في حدود السنتين فقد أرخ لوصوله إلى البحرين بقوله : « في ١٥ جمادى آخر ١٣٤٧ وصلت البحرين من الكويت على أحد المراكب البخارية ونزلت في ضيافة آل القصيبي الأصائل . » (٥٤)

وفي البحرين أكمل إصدار مجلته «الكويت» فأكملت سنتين من عمرها مع أخذ بالاعتبار أن سنة المجلة عنده عشرة أشهر ، وقد صدر آخر عدد من «الكويت» شهر شوال ١٣٤٨ ، في حين أن العدد الأول من «الكويت والعراق» صدر في دونيسيا ١٣٥٠هـ . ١٩٣١م .

عاش الشيخ الرشيد في البحرين حياة لقيت هوى في نفسه وانسجاما مع موحاته فقد وصل الشيخ عبد العزيز الرشيد إلى البحرين ، والحياة الثقافية فيها في وج نهضتها الحديثة التي بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي لأسباب يكاد المؤرخون يتفقون عليها منها الشعور بالأصالة القديمة الذي أدى إلى سبق الإنسان البحريني بشعور الانتماء إلى الأرض بدلا من الانتماء إلى القبيلة ، واستواء تشكل طبقة العمال الذي جعل البحرين تنفرد بعدم العطفرة في النقلة إلى مجتمع النفط والثروة تماما كوجود زراعة نامية وصناعات متقدمة [٥٥] كما أن اتصال التجار البحرينيين بالعالم ساعد على تقبل الانفتاح على العلم والثقافة .

واجد من الضروري هنا الإشارة إلى هذه النهضة التي يتفق المؤرخون والكتاب على تاريخ بدايتها ببداية عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أواخر القرن التاسع عشر عندما فتحت المدارس الأهلية ، وبدأت فكرة الأندية والمجالس الثقافية في التبلور عن طريق مجالس الشورى والأعيان والأثرياء [٥٦]

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى بدأت بوادر هذه النهضة تؤتي ثمارها ففي عام ١٩١٩ تأسس أول مجلس للمعارف ومن ثمراته كانت مدرسة الهداية الخليفية وهي أول مدرسة نظامية ، واستقدم لها المدرسون من سوريا ولبنان والعراق ، ومن الجدير بالذكر أن مجلس المعارف لم يخضع منذ تأسيسه إلى أية سلطة في البلاد سوى سلطة الحاكم ، لأنه قام على أكتاف رجال نذروا أنفسهم لخدمة بلادهم ، وبعد تأسيس «الهداية الخليفية» بالمحرق أسس المجلس المذكور مدرسة أخرى في المنامة حملت الإسم نفسه ونلاحظ كذلك تأسيس مدرستين أخريتين في الرفاع والحد عام ١٩٢٥ ، وفي هذا العام أسس كبار رجالات الشيعة مجلس معارف ثان وأقام مدرسة لأبناء الشيعة مدرسة ثانية في قرية الخميس ، إذ كانت المدارس الأولى لأبناء السنة [٥٧] وقد شعرت الحكومة

بمسئوليتها تجاه المجلسين المذكورين فبدأت من عام ١٩٢٥ بمساعدة تلك المدارس تمهيدا لوضع التعليم تحت إشرافها وفي عام ١٩٢٩ أدمج المجلسان وصارا تحت إشراف الحكومة برعاية المستشار الإنجليزي «تشارلز بلجريف».

ويأتي تأسيس الأندية الثقافية في البحرين منذ مطالع القرن العشرين علامة بين علامات الازدهار الثقافي ، وتعتبر هذه الأندية امتدادا للمجالس البيتية العريقة التي عرفت في البحرين والتي كانت في الماضي معينا للثقافة والأدب والفكر والإصلاح والسياسة ، ويعد مجلس الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة من أكبر المجالس التي يلتقي فيها رجالات الفكر والأدب ، ومجمعا للصحف العربية التي كانت تصدر آنذاك، مثل اللواء لمصطفى كامل ؛ والمؤيد للشيخ علي يوسف ، والمنار للشيخ محمد رشيد رضا ، والأهرام والمقتطف وغيرها من الصحف التي كانت ترد إلى البحرين عن طريق بومباي.

فمن هذه المجالس البيتية والمجالس الصغيرة انطلقت فكرة الأندية الأدبية ، فكان نادي إقبال أوال عام ١٩١٣ والنادي الأدبي عام ١٩٢٠ والمنتدى الإسلامي عام ١٩٢٨ ، وأدى انتشار التعليم إلى ظهور حركة ثقافية نشطة زاد من نشاطها وجود شخصيات أدبية وثقافية مستنيرة سواء من أبناء البحرين الذين تخرجوا في الأزهر أو الهند أو من أبناء البلاد العربية الأخرى زائرين أو مقيمين مثل عثمان الحوراني وعمر يحيى ، وخالد الفرج وأمين الريحاني والشيخ محمد الشنقيطي وغيرهم.

ظلت فكرة سفره إلى أندونيسيا قائمة في ذهنه ، وظهر أكثر من عامل شجعه على تنفيذ فكرته هذه ، منها رغبة الملك عبد العزيز ودعمه ثم تشجيع صديقه وزميله ورفيق دربه يونس بحري ، ومنها إحساسه بالواجب نحو دينه في هذا الخروج للدعوة والإرشاد.

وتجد الباحثة نفسها عند هذه النقطة أمام الرشيد وهو في البحرين يفاضل بين مسألتين ، البقاء في البحرين على الحال الحسنة التي كان عليها وبين رحلة تحمل في طياتها الكثير من الآمال ، لعل من أهمها بالنسبة إليه عمله في موقع أكثر استشرافا وإطلالا على العالم الإسلامي الكبير مما يحقق طموحه وأمله الكبير كمصلح يتبنى

مباديء محددة ويعمل لأهداف كبيرة لم تسعها ساحة الكويت ولا ميادين البحرين الرحبة.

رحل الشيخ عبد العزيز إلى أندونيسيا حوالي عام ١٩٣٠ من البحرين ويذكر يونس بحري ـ رفيقه في الرحلة ـ كما ذكرنا من قبل أن عدة رسائل وصلت إليه وإلى الشيخ عبد العزيز الرشيد من أندونيسيا تدعوهما لنقل مجلة الكويت إلى بتافيا (جاكرتا) بأندونيسيا ، لتكون لسان حال الدعوة الإسلامية التصحيحية للخرافات والطائفية المقيتة وللتعصب المذهبي الباغي الخارج على الدين والمعومات الإنسانية والأخلاقية.

وتجمع المصادر على أن الشيخ الرشيد بعد وصوله إلى أندونيسيا قام بدور كبير في تقريب وجهات النظر بين جماعتي العلويين والإرشاديين في جاوه ، وسخر قلمه والصحف التي أصدرها هناك لمحاربه القاديانية ، وأصدر الشيخ عبد العزيز الرشيد بالاشتراك مع رفيق دربه يونس بحري في أندونيسيا مجلة الكويت ـ والعراقي ، وصدر العدد الأول منها في جمادى الأول ١٣٥٠ هـ . وهي مكملة لمجلته الأولى «الكويت» فالموضوعات لا تختلف كثيراء بل ان بعض الموضوعات كان امتدادا لما كان ينشر في المجلة الأولى «الكويت» ففي العدد الأول مثلا نجد في الصفحة الحادية عشرة تحت عنوان «البراهين على وجود الله» العبارة التالية تابع لما نشر في مجلة الكويت «العدد العاشر» الدليل التاسع أمارة التغير والتحول.

كما أننا نجد العبارة التالية في صدر غلاف المجلة تحت عنوانها مجلة دينية أدبية أخلاقية تاريخية مصورة ، ولكننا نلاحظ في مجلة الكويت والعراقي أنها تعرضت كثيرا لمواجهة الطوائف التي تدعي الإسلام كالقاديانية والبهائية وغيرهما ، ونشر أخبار العلويين وجماعة الإرشاديين الذين يعتبرون من أكبر الجماعات الإسلامية في أندونيسيا وقد ألقى الرشيد المحاضرات في منتدياتهم وبذل المحاولات الجادة في رأب الصدع بينهما عن طريق الكلمة والاجتماع والحوار الذي سجل على صفحات المجلة . وكان يناشدهم بأواصر الأخوة الإسلامية أن يتناسوا ما بينهم من ضغائن وأحقاد ، وأن يرلوا وجوههم شطر المسالمة الحقة في بلاد الغربة والمهجر .[٥٨].

ونتيجة لموقفه الإصلاحي هذا تعرض وزميله يونس بحري لاعتداء آثم عليهما .

ذكر ولده يعقوب الرشيد أن والده تعرض في أندونيسيا إلى اعتداء مسلح بضربة سيف شجت جبهته ونقل على أثرها إلى المستشفى وشفي منها بعد مدة طويلة ، واصل بعدها كفاحه وجهاده في نشر الدين الإسلامي في أندونيسيا . (٥٩)

لم يأبه الشيخ الرشيد بالتهديد والاعتداء وأصدر وحده مجلة التوحيد بديلا للكويت والعراقي التي توقفت عن الصدور في ذي القعدة من عام ١٣٥١ ، مارس من عام ١٩٣٣ ، وجاء تحت عنوان التوحيد «جريدة دينية أخلاقية أدبية تصدر في الشهر مرة مؤقتا!

ومعنى هذا أن الشيخ الرشيد أصدر منفردا تلك المجلة التي بدأها بالكويت تحت عنوان مجلة الكويت ، ثم مع السائح العراقي تحت عنوان الكويت والعراقي ، ثم منفردا تحت عنوان التوحيد ، وقد جاء في افتتاحيتها تقديما لها ، «أقدمها للقراء أمام مجلة الكويت لتقوم ببعض ما قامت به من واجب وأصدرها في الشهر مرة مؤقتا وربما أعددتها أربعا إذا وجدت من قرائها تشجيعا . . وستعني برد هجمات الملحدين ومن يدعي الإسلام وهو ليس منه في شيء كالقاديانية وغيرهم ممن شوه محاسن الدين بعقائدهم وبدعهم (٦٠) .

استمرت مجلة التوحيد في الصدور لمدة عام واحد فقط ثم توقفت ، ولقد صدر آخر عدد منها في السابع والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٥٢ الذي يوافق الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٣٣ .

وبالرجوع إلى أعداد الكويت والعراقي ثم أعداد التوحيد نلاحظ بوضوح أن العامل المادي كان هاجسا من الهواجس التي أقضت مضجع الرشيد ، وصاحبه في مجلة الكويت والعراقي ، ولا يكاد يخلو عدد من حث المشتركين على سداد الاشتراك أو دفع ما عليهم . . بل ونلاحظ كذلك حث المشتركين سابقا في مجلة الكويت بعد توقفها على دفع ما بذمتهم لها . . ولعل هذا العامل المؤثر كان واحدا من

أبرز العوامل وراء تعثر مسيرة هذه المجلات ثم توقفها نهائيا عند العدد الحادي عشر من جريدة التوحيد.

استمر الشيخ الرشيد في أندونيسيا في نشاطه الإصلاحي وقام بحركة إصلاحية ناجحة بين العلويين والإرشاديين. وكذلك قام بالقاء محاضرات لدعاة القديانية والأحمدية في جاوه، واشترك في مناظرة بينه وبين زعماء القاديانية استمرت ثلاث ليال وانتهت على حسب قوله «انتهت بفوز دعاة الحق وحماته، وانخذال الباطل ودعاته» (٦١) وكذلك ساهم في إلقاء خطبة العيد في مسجد الإرشاديين «بيقور» وشارك في كثير من المؤتمرات ومن أهمها مؤتمر الإرشاد.

خاتمة:

يمكننا بعد، هذا العرض أن نلخص الدوافع والأسباب التي أدت إلى ظاهرة الغربة والتنقل في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد بما يلي:

(١) طلب العلم، وتمثله رحلاته الأولى إلى الزبير والأحساء وبغداد والمدينة المنورة.
(٢) الاطلاع على معالم العمل الإصلاحي واكتشاف آفاقه ومجالاته والتعرف على رواده، وتمثله رحلاته إلى بغداد في المرحلة اللاحقة والآستانة ومصر.
(٣) التجارة، وتمثلها رحلاته إلى بلاد القفقاس.
(٤) أداء مهمات وطنية وسياسية وتمثلها رحلته إلى بغداد لمقابلة الملك فيصل الأول.
(٥) أداء رسالة كبرى وجد نفسه مؤهلا لها وهي العمل الإصلاحي في رحلته إلى جاوه.
(٦) عدم التقدير الكافي والتنكر لجهوده في إصدار مجلة الكويت السنة الأولى.

وهنا يتسائل المرء إذا كانت رحلات الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى الزبير والأحساء وبغداد للدراسة، وإلى الآستانة ومصر والمدينة للدراسة والاطلاع واستكشاف آفاق العمل الاصلاحي، وإذا كانت إقامته في الكويت بعد ذلك منتجة ومثمرة، فلماذا ترك وطنه وأقام بالبحرين ومن هناك شد الرحال إلى الرحلة الكبرى والغربة الطويلة؟

إن البحث في الدوافع والأقرب إلى الدوافع المباشرة لرحلته إلى أندونيسيا ـ وهي اتفاقه مع الملك عبدالعزيز آل سعود للدعوة في تلك البلاد ـ يجعلنا نتوقف عن التطلع إلى ما هو أبعد أثرا في الكشف عن الظاهرة التي كرسنا هذه الدراسة لها. لذا فإننا مدعوون للبحث عن أسباب أخرى كافية ولا بد من الربط بين تنقلاته ورحلاته جميعا، وبين هذه الرحلة لتحقيق هذه الغاية البعيدة مستشهدين في ذلك بالظروف النفسية والأحوال الاجتماعية والاقتصادية للمحيط الذي انطلق منه وهو الكويت. ونستطيع بعد أن اطلعنا على تنقلاته ورحلاته والظروف التي أحاطت بها القول أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد كان يتطلع إلى أداء رسالة كبرى وجد نفسه مؤهلا لها وهي العمل الإصلاحي الذي يتلخص في الدعوة إلى جوهر الدين ومحاربة الاشكال والظواهر والتزمت واستحكام الجمود. مما تسبب في ضعف الأمة وأدى إلى هيمنة الأجنبي على مقدراتها وتفكيك وحدتها وتخلفها عن ركب الحضارة التي أخذت بالأصل عنها، ولقد أحب الشيخ الرشيد عمله في هذه الدعوة منذ أن تنسم معالمها الأولى باطلاعه على كتابات المصلحين ودعاة التجديد في الصحف المصرية التي أخذت تتواجد في الكويت في أعقاب عودته من بغداد عام ١٩١١، ثم تعمق هذا الحب في خلال رحلته إلى الآستانة والقاهرة واتصاله ببعض رجالات هذه الحركة الإصلاحية كالشيخ محمد رشيد رضا، وعبدالقادر المغربي وعبدالعزيز الثعالبي، فصار حين عاد إلى الكويت مشبعا بتلك الروح ومهيأ لممارسة جهوده العلمية في ميادين الإصلاح التي أثمرت إنجازات وأعمال مجيدة. وبالنظر إلى هذه التجربة نجد أن الرجل قد أسهم وشارك في كثير من المجالات منها:

(١) تأسيس أول جمعية خيرية عام ١٩١٣.
(٢) تأسيس مدرستين الأحمدية عام ١٩٢١ والعامرية الخاصة به مع مجموعة من المدرسين عام ١٩٢٥.
(٣) إدارة المدرسة المباركية والتدريس فيها عام ١٩١٧ (ومشاركته في تأسيسها).
(٤) تأسيس النادي الأدبي عام ١٩٢١.
(٥) عضوية مجلس الشورى عام ١٩٢١.
(٦) الجهاد الوطني الميداني في حرب الجهراء عام ١٩٢٠.

(٧) القيام بمهام سياسية والعمل مع الشيخ أحمد الجابر.
(٨) تأليف كتابه تاريخ الكويت.
(٩) تأليف رسالته المسماة «الدلائل البينات في حكم تعليم اللغات». [٦٢]
(١٠)إصدار أول مجلة الكويت حملت اسم «الكويت».

وهي بطبيعة الحال أعمال إصلاحية مجيدة كان له في أكثرها فضل السبق والريادة، لكنه مع هذا كله، شد الرحال إلى الأفق الأبعد فأقام في البحرين ما أقام ثم ارتحل إلى أندونيسيا، ليبدأ من هناك مرحلة زاخرة بالنشاط والعطاء والعمل والجهاد. بالمطالبة بالإصلاح الداخلي. . . . مما حدا بيونس البحري.

بعد أن عدد رجالات كثيرة من مشاهير علماء العالم الإسلامي وتعرف عليهم في رحلته حول العالم، إلى القول : «لم أر في أي واحد من العلماء الأعلام شخصية جامعة مانعة كشخصية الشيخ عبدالعزيز الرشيد». [٦٣]

لم يمهل القدر الرشيد طويلا بعد هذا، ولا نعلم مرجعا سجل عن الرشيد خلال هذه الفترة ما يمكن أن يهدي إلى شيء من المعلومات. . . . وسرعان ما تقرأ في مخطوط يونس بحري «صفحات مطوية» : ان الشيخ توفي في آب عام ١٩٣٦ متأثرا بجراحه أثر هجوم مسلح عليه وعليّ في مكتبنا بجاكرتا [٦٤] وهذا يحسم لنا الخلاف حول سنة الوفاة فقد تردد انها ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٦، كما يحسم الحديث عن حياة رجل مات، شهيد الرأي والجرأة والكلمة التي آمن بها. ووقف حياته عليها. رحمه الله رحمة واسعة.

ونقرأ لزميل رحلته السائح العراقي في مجلة الكويت والعراقي تحت عنوان صفحات مطوية عن الشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤرخ الكويت وصاحب مجلة الكويت.

للرجل الفذ ــ يعني الرشيد ـ الفضل كل الفضل في استكمال علومي الدينية والتاريخ الاسلامي وإجادة الخطب وارتجالها، فتعايشي معه الذي استمر ثمانية أعوام

في الكويت والعراق، والهند، وماليزيا وسنغافوره وأندونيسيا (جاوه سابقا) قد جعل مني نسخة طبق الأصل في حيويته ونشاطه وصبره، وحب الناس وتقديرهم له.

مهيب الطلعة، قوي الحجة، فصيح اللسان، وخطيب مصقع، جريء إلى حد الاستهانة بالموت.

كان رحمه الله يبرهن في كل يوم يمربنا على أنه نسيج فريد من نوعه في العلوم الدينية والتاريخية والأدبية والسياسية والإسلامية، وعربي وطني أصيل.

لقد كنت في كل يوم يمر أعثر في عبدالعزيز الرشيد على شيء جديد...

اكتشفت فيه المصلح الديني والاجتماعي والسياسي، ورائد من الرواد الأوائل في الكويت والعالم الإسلامي.[٦٥]

لقد كان الرشيد نبتا طيبا لأرض طيبه، تربى على تعاليم الإسلام الحقه وعمل بها ودعا إليها، فكان كويتي المنبت، عربي الأصل، إسلامي العقيدة ودخل سجل الخالدين بما آمن به ودعا إليه.

الهوامش

(١) مجلة البعثة : العدد الأول ـ السنة الثالثة ـ يناير ١٩٤٩ ، في مقال طلائع بعثات الكويت ـ بقلم محمد ملا حسين .

(٢) المرجع السابق .

(٣) د . نوريه الرومي : محمود شوقي الأيوبي ، ص٢٨ ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

(٤) توفي في دبي سنة ١٩٥٤ ، راجع خالد سعود الزيد ، أدباء الكويت في قرنين ص٩٨ ، ص٢٢٧ .

(٥) ألن فيلارز: أبناء السندباد ، ص٣١ ، ترجمة د . نايف خرما . مطبعة الكويت ١٩٨٢ .

(٦) صفحات مكتوبة عن الشيخ عبدالعزيز الرشيد مخطوط بقلم يونس بحرى .

(٧) خالد سعود الزيد ـ أدباء الكويت في قرنين ، ص٩٣ ، وكذلك راجع مجلة البعثة ، العدد الثاني عشر من السنة الأولى ، ديسمبر ١٩٤٧ .

(٨) مخطوط بقلم يونس بحرى أرسله في رسالة خاصة إلى الدكتور عبدالعزيز المنصور من أبو ظبي سنة ١٩٧٢ مطبوع على الآلة الكاتبة .

(٩) مجلة البعثة ، محمد ملا حسين عدد ١٢ ، السنة الأولى ـ ديسمبر ٤٧ .

(١٠) مجلة البعثة ، محمد ملا حسين عدد ١٢ ، من أول ديسمبر ٤٧ .

(١١) محمد ملا حسين : مجلة البعثة . «المرجع السابق»

(١٢) محمد ملا حسين : مجلة البعثة ، العدد ١٢ ، السنة الأولى ـ ديسمبر ١٩٤٥

(١٣) مخطوط يونس بحرى مصدر سابق .

(١٤) محمد ملا حسين : مجلة البعثة . المصدر السابق .

(١٥) خالد سعود الزيد : أدباء الكويت في قرنين ، ج١ ، ص ٩٣

(١٦) خالد سعود الزيد : جـ ١ ، ص ٩٤ .

(١٧) مخطوط يونس بحرى . مصدر سابق

(١٨) محمد ملا حسين : مجلة البعثة . مصدر سابق .

(١٩) خالد سعود الزيد : ص ٩٤ ، وكذلك مخطوط موجز ليعقوب عبدالعزيز الرشيد .

(٢٠) خالد سعود الزيد : المرجع السابق .

(٢١)سيف مرزوق الشملان : فرحان بن فهد الخالد، اعلام الكويت، ص ١٥ ذات السلاسل ١٩٨٥
(٢٢)تسجيل صوتي ليعقوب عبدالعزيز الرشيد.
(٢٣)خالد سعود الزيد : ص ٩٨ .
(٢٤).المرجع السابق. خالد الزيد.
(٢٥)محمد ملاحسين : مجلة البعثة مرجع سابق.
(٢٦) خالد سعود الزيد، المرجع السابق.
(٢٧)البدوى الملثم : عبدالعزيز الرشيد، ص، ٣٠
(٢٨)مخطوط يونس بحرى.
مكي بن عـزوز: ــ عـالم فـاضل تـوفى بـالقسطنطينيـة في آواخـر ١٣٣٣هـــ، ١٩١٥م لـه منظومة : الاجوبة المكية عن الاسئلة الحجازية .
(٢٩)ملا محمد حسين : مجلة البعثة
(٣٠) المرجع السابق.
(٣١)مجلة البعثة : المرجع السابق
(٣٢)عبدالعزيز الرشيد : تاريخ الكويت، ص ١٢ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت
(٣٣)خالد سعود الزيد : المرجع السابق
(٣٤) عبدالعزيز الرشيد : تاريخ الكويت : ص١١
(٣٥)محمد ملا حسين : ـ المرجع السابق .
(٣٦) البدوى الملثم : عبدالعزيز الرشيد : ص٣٦
(٣٧) يوسف سالم : عبدالعزيز الرشيد، ص١٩، دار الطباعة الحديثة ــ البصرة ، ١٩٧٦ وكذلك عبدالعزيز الرشيد : تاريخ الكويت ، ص١٢
(٣٨) تسجيل صوتي مع يعقوب الرشيد عام ١٩٨٥ .
(٣٩)مخطوط يونس بحرى.
(٤٠) المرجع السابق
(٤١)مخطوط يونس بحرى. مصدر سابق
(٤٢)مجلة الكويت : العدد الأول من السنة الثانية. مصدر سابق
(٤٣)عبدالعزيز الرشيد : تاريخ الكـويت، ص٣٥. مصدر سابق وكذلك محـمد جابر الأنصارى : المجموعة الكاملة لآثار الشيخ ابراهيم بن محمد، ص١٠٠، ١٠١. المطبعة الشرقية، البحرين ١٩٦٨
(٤٤)مبارك الخاطر: المنتدى الإسلامي، ص٣٥، مركز الوثائق التاريخية/ البحرين ١٩٨١

(٤٥)محمد ملا حسين : مجلة البعثة . مصدر سابق

(٤٦)مبارك الخاطر: المرجع السابق، ص٢٨ (المنتدى الإسلامي)

(٤٧)مجلة الكويت : العدد الأول من السنة الثانية

(٤٨)مجلة الكويت : الجزء ٤/ ٥ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٤٨هـ المجلد الثاني .

(٤٩)المرجع السابق . مجلة الكويت

(٥٠)المرجع السابق . مجلة الكويت

(٥١)المرجع السابق . مجلة الكويت

(٥٢)مجلة الكويت : العدد الأول من السنة الثانية

(٥٣)د . سهير القلماوي :ـ دراسات في أدب البحرين ص ١ المنطقة العربية ، ١٩٧٩

(٥٤)راجع مجلة الكويت مصدر سابق .

(٥٥)المرجع السابق . مجلة الكويت

(٥٦)مبارك الخاطر : نابغة البحرين ، ص ٢٤ الطبعة الاولى . بيروت ١٩٧٢

(٥٧) مجلة الكويت : ج ٨/ ٩ ، المجلد الثاني

(٥٨) مجلة الكويت ، الجزء السادس من المجلد الثاني

(٥٩) مخطوط بخط يد .

(٦٠) جريدة التوحيد العدد الأول .

(٦١)التوحيد : العدد الثالث، تحت عنوان حوادث محلية . .

(٦٢)مجلة مرآة الأمة، العدد الصادر في ٢٣ من أغسطس ١٩٧٣ مقال السيد مرزوق الشملان .

(٦٣)صفحات مطوية، مذكرات لم تكتمل مخطوطة بقلم يونس بحري (السائح العراقي) .

(٦٤)صفحات مطوية، نفس المرجع .

(٦٥)المرجع السابق .

المراجع والمصادر

أولا الكتب :

(١) ألن فيلارز: أبناء السندباد.
ترجمة نايف خرما.
مطبعة الكويت ١٩٨٢.

(٢) خالد سعود الزيد.
أدباء الكويت في قرنين، الطبعة الثانية ١٩٦٧.

(٣) سيف مرزوق الشملان:
أعلام الكويت ـ «فرحان بن فهد الخالد».
ذات السلاسل ١٩٨٥، الكويت.

(٤) الدكتورة سهير القلماوي:
دراسات في أدب البحرين.

(٥) عبدالعزيز الرشيد:
تاريخ الكويت، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.

(٦) عبدالفتاح مليجي :ـ
الصحافة وروادها في الكويت.
شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ـ ابريل ١٩٨٢.

(٧) الدكتورة نورية الرومي :ـ
محمود شوقي الأيوبي، الطبعة الأولى ١٩٨٢.

(٨) محمد جابر الانصاري :ـ
المجموعة الكاملة لآثار الشيخ ابراهيم بن محمد.
المطبعة الشرقية ـ البحرين ١٩٦٨.

(٩) مبارك الخاطر:ـ
المنتدى الإسلامي. البحرين/ مركز الوثائق التاريخية.
الطبعة الأولى ١٩٨١.

(١٠) مبارك الخاطر:ـ
نابغة البحرين/ عبدالله الزايد.
بيروت ١٩٧٢.

(١١) يعقوب العودات/ البدوي الملثم :ـ
عبدالعزيز الرشيد .
مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
(١٢) يوسف السالم :ـ
عبدالعزيز الرشيد
دار الطباعة الحديثة ـ البصرة ١٩٧٦ .

ثانيا الدوريات :
(١) البعثة : العدد الثاني عشر من السنة الأولى، ديسمبر ١٩٤٧ .
ـ البعثة : العدد الأول السنة الثالثة . يناير ١٩٤٩ .
(٢) مجلة الكويت : للشيخ عبدالعزيز الرشيد .
صدرت في ٢٠ يونيه ١٩٢٨ .
(٣) مجلة الكويت والعراقي :ـ
للشيخ عبدالعزيز الرشيد والسائح العراقي يونس بحري .
(٤) مجلة التوحيد : للشيخ عبدالعزيز الرشيد .
(٥) مجلة مرآة الأمة :ـ
العدد الصادر في ٢٣ من أغسطس ١٩٧٣ ،
مقالة لسيف مرزوق الشملان .

ثالثا : المخطوطات:

(١) مخطوطات يونس بحري ١٩٧٢ .

(٢) يعقوب عبدالعزيز الرشيد .

رابعا : التسجيلات:

(١) تسجيل صوتي ليعقوب عبدالعزيز الرشيد .